مدارس الإقراء في اليمن في عصر الدولة الرسولية
(626هـ -858هـ/ 1229م-1454م)

د.منى عبد الله محمد الحداد
دكتوراه فقه -باحثة وأستاذة جامعية بمركز البحوث والتطوير التربوي
وزارة التربية والتعليم – عدن

الملخص

مدارس الإقراء في اليمن في عصر الدولة الرسولية

تناولت الدراسة التعريف بالدولة الرسولية، من خلال لمحة تاريخية ولمحة علمية عنها، وهدفت الدراسة إلى بيان أهم مدارس الإقراء التي أسسها وبناها ملوك وأمراء بني رسول في اليمن لتدريس القراءات.

وكانت منهجية الدراسة المنهج الوصفي القائم على جمع المعلومات من المراجع والمصادر المختلفة، وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: أن الدولة الرسولية كانت من أكبر الدول السنية التي استطاعت بسط نفوذها على أغلب أجزاء اليمن، وكان لهم دوراً في الحياة العلمية في اليمن، وأولو دور العلم جُلَّ عنايتهم، فشيدوا المدارس، وألحقوا بها خزائن الكتب، وأنشأوا مدارس متخصصة في تدريس علوم بعينها كالقراءات والحديث والفقه. إضافة إلى المدارس المشتركة، ولم يقتصر إنشاء المدارس على سلاطين الدولة، بل أسهم فيه الأمراء والفقهاء، وبعض الوزراء ونساء البيت الرسولي، كما أن المدارس المتخصصة في علم القراءات كان لها دوراً في إخراج قدر كبير من المقرئين في ذلك العصر.

كما توصلت الدراسة إلى عدد من التوصيات أهمها: توسيع دائرة البحوث والندوات والمؤتمرات عن مدارس الإقراء في اليمن، وطباعة الكتب اليمنية في علم القراءات لتعريف الخلف بما تركه لهم السلف ليسهم في تحفيزهم فيحذو حذوهم، وإثراء المكاتب العربية بجهود اليمنيين في تشييد المدارس الإسلامية ومدارس الإقراء، من خلال طباعة الكتب والأبحاث التي تناولت ذلك.

الكلمات المفتاحية: الدولة الرسولية، مدارس الإقراء، الحياة العلمية.

Abstract

Schools of reading in Yemen in the era of the Rasulid state

The study dealt with introducing the Rasulid state, through a historical overview of it and a scientific overview, and the study aimed to explain the most important schools of recitation that were established and built by the kings and princes of the Banu Rasul in Yemen to teach the recitation.

The methodology of the study was the descriptive approach based on gathering information from various references and sources.

The study concluded with a number of results, the most important of which are: that the Rasulid state was one of the largest Sunni countries that was able to extend its influence over most parts of Yemen, and they had a role in the scientific life in Yemen, and they took the most care of the role of science, so they constructed schools, attached them to book coffers, and established schools. Specializing in the teaching of specific sciences such as readings, hadith and jurisprudence. In addition to the joint schools, the establishment of schools was not limited to the sultans of the state, but rather princes, jurists, some ministers and women of the Apostolic House contributed to it, and schools specialized in

the science of recitation had a role in producing a large number of reciters at that time.

The study also reached a number of recommendations, the most important of which are: expanding the circle of research, seminars and conferences on reading schools in Yemen, printing Yemeni books on the science of readings to introduce the successors to what the predecessors left for them to contribute to motivating them so that they follow their example, and enriching Arab offices with the efforts of Yemenis in building Islamic schools and schools of reading, By printing books and research papers that dealt with that.

Key words: The Apostolic State, Schools of Reading, Scholarly Life.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد، فإن علم القراءات من أجلّ العلوم رفعةً وأعظمها قدرًا؛ لتعلقها بكتاب الله تعالى، وقد أولاها سلف الأمة عناية فائقة في نقلها أداءً ومشافهةً، وتدوينًا، وبيان صحيحها من ضعيفها، نقلًا لها في بطون الكتب وصدور الرجال جيلًا عن جيل، واهتموا بتحريرها وتقريبها، وتسهيلها للناس.

وكان لليمن وأهله دوراً بارزاً في العناية بالقراءات، وخاصة في عصر الدولة الرسولية التي حكمت اليمن فترة طويلة (626هـ -858هـ/ 1229م-1454م). ومن هنا فقد أردت إظهار ذلك الدور من خلال بحث سميته ((مدارس الإقراء في اليمن في عصر الدولة الرسولية)).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- لأنه يمثل مظهرًا بارزًا في تاريخ الدولة الرسولية خاصة، وفي تاريخ اليمن بوجه عام.
- لاحتياج المكتبات العربية لمثل هذه الدراسة، فالموضوع لم يوفَّ حقه من قبل الباحثين، والدراسات السابقة هي إما دراسات أثرية أو تاريخية أو سياسية.
- لازدهار علم القراءات، وانتشار مدارس الإقراء في اليمن في عصر الدولة الرسولية.
- لإظهار جهود اليمنيين في عنايتهم بمدارس الإقراء والقراءات؛ للباحثين في الدراسات القرآنية.

أهداف الدراسة:

- بيان دور الدولة الرسولية في إنشاء مدارس الإقراء.
- ذكر أهم مدارس الإقراء والقراءات في اليمن في عصر الدولة الرسولية.

مشكلة الدراسة:

حاولت الباحثة الإجابة عن أسئلة الدراسة وهي:

- ما هو دور الدولة الرسولية في إنشاء مدارس الإقراء في اليمن؟
- ما هي أهم مدارس الإقراء في اليمن في عصر الدولة الرسولية؟

الدراسات السابقة:

من خلال البحث لم تقف الباحثة على دراسات سابقة خصَّت بالبحث مدارس الإقراء والقراءات في اليمن في عصر الدولة الرسولية، ولكن هناك دراسات قريبة منها تناولت تاريخ الدولة الرسولية، وانجازاتها العلمية بشكل عام، أو تناولت المدارس الإسلامية بشكل عام في الدولة الرسولية، ومن هذه الدراسات:

- علم القراءات في اليمن من صدر الإسلام حتى القرن الثامن، كتاب مطبوع من سلسلة إصدارات جامعة صنعاء، 1425هـ -2004م، للدكتور عبد الله عثمان المنصوري، تناول فيه المؤلف الحالة السياسية في اليمن في فترة الدراسة، والعلاقات الفكرية، والعوامل المؤثرة في حركة علم القراءات، والقراءات في اليمن.
- الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول، رسالة ماجستير، للباحث علي بن علي أحمد، 1414هـ -1994م، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية، تناولت دور الدولة الرسولية في النهضة العلمية في تعز.
- دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الدولة الرسولية، رسالة دكتوراه، للباحث محمد عبد الله محمد المعلمي، 2009م، كلية الآداب، جامعة صنعاء، اليمن، تناولت دور العلماء في اليمن في عصر الدولة الرسولية في الحياة السياسية والاجتماعية.
- الحياة الفكرية في الدولة الرسولية، رسالة ماجستير، للباحث محمود عبد المقصود ثابت محمد، 1430هـ -2009م، كلية دار العلوم، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة، مصر، تناولت أهم المراكز الفكرية في الدولة الرسولية وأشهر مؤسساتها التعليمية، وأشهر العلماء وأهم مصنفاتهم.
- الملك الأفضل الرسولي جهوده السياسية والعلمية، رسالة دكتوراه، للباحث يوسف بن عبد العزيز بن محمد الحميدي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، تناولت حياة الملك الأفضل الرسولي، وبيان جهوده السياسية والعلمية.
- الحياة العلمية في اليمن في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي (عصر الدولة الرسولية)، رسالة ماجستير، للباحث فضل محمد صالح محمد، 1427هـ -2006م، كلية الآداب، جامعة عدن، اليمن، وتناولت تأسيس المدارس في اليمن، ودور الملوك في تأسيسها في هذا العصر.
- الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية، رسالة ماجستير، للباحث عبد الله قائد حسن العبادي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، تناولت الحديث عن مدينة زبيد ومكانتها العلمية ونشأتها التاريخية والسياسية، والعناية التي أولاها بنو رسول للعلم والعلماء في زبيد.

صعوبات الدراسة:

كانت هناك بعض الصعوبات منها قلة المصادر والمراجع التي تناولت مدارس الإقراء والقراءات في اليمن في العصر الرسولي؛ حيث أن المصادر والمراجع التي تناولت المدارس الإسلامية في اليمن تناولتها بشكل عام، أي المدارس التي فيها تدريس العلوم بشكل عام، وقل أن تجد من ذكر أن هذه المدرسة أو تلك كانت خاصة لتدريس القرآن والقراءات، لذلك اكتفت الباحثة بذكر المدارس التي ذُكر في مصدرها أو مرجعها أنها لتدريس القراءات، أو تدريس القراءات وعلوم أخرى.

منهج الدراسة:

تم اتباع المنهج الوصفي القائم على جمع المعلومات من المراجع والمصادر المختلفة، وقد رسمت الباحثة منهجًا التزمت فيه بالإطارين الزماني والمكاني للدراسة التزامًا فعليًا، توخيًا للدقة ومحاولة لإعطاء صورة أقرب ما تكون عن واقع مدارس الإقراء في اليمن في عصر الدولة الرسولية، والوصول إلى النتائج.

خطة الدراسة:

اشتملت الدراسة على المقدمة التي حوت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وصعوباته، والدراسات السابقة، كما اشتملت الدراسة على مبحثين، وخاتمة فيها النتائج والتوصيات، ثم فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعريف بالدولة الرسولية:

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن الدولة الرسولية:

الدولة الرسولية نسبةً إلى مؤسسيها بنو رسول الذين حكموا اليمن لمدة طويلة استمرت من الثلث الأول للقرن السابع الهجري (626هـ) وحتى منتصف القرن التاسع الهجري (858هـ)، فقد كان لمغادرة الملك المسعودي الأيوبي إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة 625هـ، الفرصة لعمر بن رسول الذي أنابه للقيام بالحكم، وفي حال عدم عودته من الحجاز يتولى الحكم. وفي سنة 626هـ بعد وفاة المسعود الأيوبي تولى عمر بن علي بن رسول [1] الدولة، وهذا يعني أن الدولة الأيوبية بمصر واجهت قوة شابة باليمن وضعفًا إداريًا في كيانها، وهذا أيضًا ما جعل عمر بن رسول وابنه المظفر يسيطران على الحجاز ولم تستطع الدولة الأيوبية صدَّها رغم استنجاد أمير مكة أبي

[1] يعود نسبه إلى محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رستم من ذرية جبلة بن الأيهم بن الحارث وسمي رسولاً لأنه كان رسول البريد بين بغداد ودمشق في العهد الأيوبي، انظر: علي بن الحسن بن أبي بكر الحسن الأنصاري الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح ومراجعة: محمد بن علي الأكوع، ط2، 1403هـ-1983م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 36/1.

قتادة بها [1].

تمكن عمر بن علي بن رسول من القيام بحكم اليمن، وذهب بعض المؤرخين في انتسابه إلى الغساسنة، ومؤرخو الأئمة الزيدية ينسبونه إلى التركمان، وعلى كلٍّ فالدولة الرسولية تعتبر من ألمع الدول الإسلامية في اليمن، وكانت اليمن في عصرهم (عصرًا ذهبيًا) لاستقبالهم وفود العلماء ونهوضهم بالحركة الصناعية والتجارية والزراعية باستصلاح الأراضي وشق القنوات بوادي زبيد، وحذوا حذو الأيوبيين في الدخل القومي الجمركي والزراعي والأنظمة السياسية والإدارية والقضائية [2].

وبالملك المنصور عمر بن علي الرسولي تبتدئ أشهر دولة عرفها تاريخ اليمن في عصوره القديمة والحديثة، وقد اكتسبت شهرتها من حيث الفترة الطويلة التي حكمت فيها وبتشجيعها للعلم والعلماء والاستقرار النسبي الذي شهدته البلاد في عهدها. أما نهاية الملك المنصور فقد كانت محزنة؛ حيث كان قتله بأيدي جماعة من غلمانه وخدامه الموالين لمنافسه على الحكم الأمير أسد الدين حسن بن رسول وذلك سنة 647هـ وعندما وصل الخبر إلى ولده المظفر يوسف بن عمر الرسولي وكان بالمهجم، تأهب لقتال ابن عمه واستطاع أن يستميل المماليك إلى جانبه والقبض على ابن عمه وزجه في سجن زبيد، وهذا أول انقلاب عسكري شهدته الدولة الرسولية [3].

وقد استمر حكم المظفر نحو نصف قرن من سنة 647هـ إلى سنة 694هـ، وازدهر عهده بالعمران الثقافي والمدني، وتوحدت البلاد اليمنية قاطبة تحت لوائه، وهو أول من سن من ملوك الدولة الرسولية نظام ولاية العهد، وتوفي سنة 694هـ، فخلفه في الحكم ابنه الملك الأشرف عمر بن يوسف، ولم يستمر حكم الأشرف سوى سنتين، فتولى الحكم بعده أخوه الملك المؤيد داود بن يوسف عمر بطلب من ابن الأشرف الناصر والعادل، وقد شهدت سنوات حكمه الأولى قيام أخيه الأمير المظفر بن يوسف بالخلاف عليه ومنازعته فأودعه السجن ثم أفرج عنه، ولا يخلو حكم المؤيد من بعض الإصلاح العمراني والرقي، حيث أنه تم بناء القصور الفخمة والمنتزهات الكبيرة[4]، وبعد وفاته سنة 720هـ كان قيام ابنه المجاهد علي بن داود ليجد النفوس من أقاربه طامحة في الحكم مشرئبة إليه ولم تمض سوى سنة واحدة حتى يقوم أحد الثوار وهو ابن عمه المنصور أيوب بن يوسف بن عمر بالاستيلاء على الحكم وإيداع المجاهد السجن لمدة ثلاثة أشهر ثم قام أحد مماليكه الموالين له بإعادة الملك المجاهد

---

[1] عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء–اليمن، دار المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق–سوريا، ص39.

[2] الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، مرجع سابق، ص39، 40.

[3] الخزرجي، العقود اللؤلؤلية، مرجع سابق، ج1، ص274.

[4] انظر: عبد الرحمن بن علي الشيباني ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار بساط، بيروت–لبنان، ط2، 1409هـ –1988م، ص 348، وابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء–اليمن، ط2، 1985م، ص385–387.

إلى كرسيه وطرد منافسه المنصور.

وفي عهد المجاهد كثرت ثورات القبائل التهامية على الدولة، ثم توفي المجاهد سنة 764هـ بعدن فخلفه في الحكم ابنه الملك الأفضل عباس بن علي بن داود، وفي عهده تجددت ثورات القبائل ووقعت معارك بين الدولة وغيرها من القبائل، وفي عهد الملك المجاهد سادت فوضى القبائل وتوفي الملك المجاهد بقصره بمدينة زبيد سنة 778هـ، فخلفه ولده الملك الأشرف الثاني إسماعيل، وقد تجددت بينه وبين الأمير ميكائيل معارك حدثت تحت صنعاء، وقامت تمردات القبائل حتى كادت أن تأسر الملك، وكانت وفاة الأشرف بذي عدينة سنة 803هـ، فتولى بعده الناصر أحمد بن إسماعيل وقد عرف عهده بالاضطراب وكثرة الفتن(1).

وفي عهده حدث النزاع الشهير بين الفقهاء والصوفية، وقام الناصر بعدة حملات عسكرية لتوطيد الأمن وقمع التمردات التي قامت عليه من قبل إخوته، وكانت وفاة الناصر سنة 827هـ في حصن قوارير فحما إلى تعز، ومنذ وفاة الناصر يبتدئ نجم الدولة الرسولية بالأفول فيخلفه في الحكم جماعة من الخلفاء الذين لا تستقر لهم الأوضاع، فبعد وفاة الناصر خلفه في الحكم ولده عبد الله بن أحمد وتلقب بالمنصور، فلم يلبث في الحكم سوى سنة واحدة، ثم مات فتولى بعده أخوه إسماعيل بن أحمد وتلقب بالأشرف وكان صغير السن فلم يلبث لزعزعات السياسة، وأزيح عن كرسيه بعد أشهر قليلة، وتولى الحكم بعده يحيى بن إسماعيل وتلقب بالظاهر.

وقد قام بالأمر أتم قيام وساس الناس بحكمة إلا أن شأن العبيد قد قوى في الدولة فقام بحملة تطهيرية ضدهم ونكل بجماعة أعيانهم. وفي عهد الظاهر تمرد عليه أخوه عباس بن إسماعيل، وانتهى تمرده بالفشل، ثم مات الظاهر سنة 842هـ، فقام بعده ولده إسماعيل بن يحيى وتلقب بالأشرف وقد تكالب عليه رؤساء القبائل وخاصة عرب تهامة فوقعت بينه وبينهم عدة معارك، ثم توفي الأشرف سنة 845هـ، فخلفه أخوه المظفر يوسف بن المنصور، وما زال العبيد في تمرداتهم ومالوا إلى نهب الأموال وزاد الهرج والفوضى، وكان في (حيس) أحد أمراء بنو رسول مسجوناً وهو أحمد بن العباس أفرجوا عنه وولوه الملك سنة 847هـ، فعاد إلى زبيد وأمر العبيد بنهب الأموال وازداد الهرج والفوضى حتى لقب بالأمير الجائر، ثم مال عنه الناس إلى شخص آخر من بني رسول هو المسعود الذي ختمت به الدولة الرسولية وولوه الحكم سنة 847هـ، والدولة الرسولية تحتضر فلم يمكث في الملك سوى سنوات قليلة حتى قام عمال الدولة الرسولية بنو طاهر بالانتفاضة على سادتهم وتمكنوا من القضاء على الدولة الرسولية سنة 858هـ(2).

(1) انظر: إسماعيل بن علي الأكوع، الدولة الرسولية في اليمن، ط1، جامعة عدن، عدن-اليمن، 2003م، ص 325.

(2) انظر: عبد الله بن محمد الحبشي، حياة الأدب اليمني، ضمن منشورات وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية، ط2، 1980م، ص20-22 بتصرف يسير، ويوسف بن عبد العزيز بن محمد الحميدي، الملك الأفضل الرسولي جهوده السياسية والعلمية، رسالة ماجستير، 1429هـ-2008م، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية، ص32-33.

يتضح مما سبق أن الدولة الرسولية مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة قوة الدولة في بناء اليمن علماً وفكرًا وزراعةً وصناعةً وسياسةً ابتداءً بالملك عمر بن علي بن رسول، فالمظفر يوسف، فالأشرف الأول، فالمؤيد، فالأفضل، فالأشرف الثاني إسماعيل، فالملك الناصر أحمد بن إسماعيل الرسولي.

المرحلة الثانية: مرحلة الضعف ابتداءً بالملك الظاهر يحيى بن إسماعيل، فالأشرف الثالث والمنصور الثاني، وانتهاءً بالملك المسعود سنة 845هـ كانت نهايتها بظهور مشايخ رداع بنو طاهر الذين بدأت علاقتهم مع الرسوليين عن طريق الصهارة، ومن ثم كانت قفزت بنو طاهر إلى السلطة عندما أدركوا الضعف برئاسة المجاهد علي بن داود بن معوضة بن طاهر، وأخوه الملك الظافر عامر بن داود بن طاهر [1].

المطلب الثاني: الملامح العلمية للدولة الرسولية:

شهدت بلاد اليمن خلال عصر الدولة الرسولية حركة علمية وفكرية واسعة عمت بلاد اليمن وأثمرت ثمارا يانعة حتى أصبح عصرها يُعد بحق من عصور الازدهار العلمي والثقافي، الذي عم غالب مدن وقرى اليمن التي انتشر فيها العلم بصورة كبيرة ، وذلك بفضل تشجيع سلاطين بني رسول للعلم والعلماء والأدباء وتكريمهم وإعلاء قدرهم ، وأصبح ذلك مظهرا بارزا من مظاهر اهتمامهم بالحركة العلمية[2]، وهذا التكريم لم يأت من فراغ، فلقد كان ملوك الدولة الرسولية من أهل العلم وطلابه حين نزلوا إلى منزلة طلاب العلم وتلقوا العلم على عدد من شيوخ عصرهم البارزين، ليس هذا فحسب، بل كان لهم مشاركة فعلية في شتى ميادين المعرفة[3]، مما انعكس ذلك أثره على الحياة العلمية، وهذا ما أسهم في انتشار العلم في عصرهم كما عم أكثر المدن والقرى اليمنية فأصبحت فيها مراكز ومؤسسات تعليمية يأتي إليها طلبة العلم من أنحاء المدن والقرى اليمني، وصارت بلاد اليمن في عصر الدولة الرسولية من البلدان التي يرحل إليها لطلب العلم[4]، وكان ملوك بني رسول يُقدِّرون العلماء ويرفعون من مكانتهم ويغدقون عليهم الهبات، والمكافآت الجزيلة من أجل النهوض بالحركة العلمية؛ فقد شجعوا العلماء وحثوهم على تصنيف المؤلفات المختلفة في شتى العلوم والمعارف، وخصصوا جوائز قيمة للمبدعين منهم،

(1) الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية، مرجع سابق، ص39-40.

(2) محمد علي عسيري، أبو الحسن الخزجي وآثاره التاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، 1406هـ -1986م، جامعة الإمام محمد بن سعود، ص43.

(3) علي بن علي أحمد، الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول، رسالة ماجستير، 1414هـ -1994م، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية، ص152.

(4) محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط1، صنعاء-اليمن، مكتبة الإرشاد، 1414هـ -1993م، 2/ 29، 31، وأحمد، الحياة العلمية في تعز، ص152.

كما تمتع العلماء لديهم بمكانة كبيرة، فأسندوا إليهم العديد من المناصب العلمية والإدارية[1]، مما كان له أثر كبير في النهوض بالحركة العلمية إلى أرقى المستويات، فأخرج العلماء مصنفات قيمة وأهدوها إلى ملوك بني رسول، ونالوا في مقابل ذلك المكافآت الجزيلة[2].

ولم يقف اهتمام حكام بني رسول عند هذا الحد بل كان لهم اهتمام بإنشاء الكثير من المساجد والمدارس وغيرها من المنشآت في مختلف المناطق اليمنية، ورتبوا فيها المدرسين وطلبة العلم، وتكفلوا بالإنفاق عليهم حتى يتفرغوا لطلب العلم والاستزادة منه، وكانت المدارس من أهم المراكز العلمية التي تخرج منها الكثير من العلماء الذين قاموا بنشر العلم، إضافة إلى تقلدهم بعض المناصب الإدارية الهامة في الدولة الرسولية [3].

بدأ ملوك بني رسول في تأسيس المدارس منذ بداية تأسيس دولتهم، وعلى رأسهم مؤسس الدولة ومؤسس النهضة العلمية في الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، الذي وضع له ولورثته من بعده نهجاً واضحًا، وهو نشر التعليم والنهوض بالحركة العلمية في اليمن؛ فكان القدوة الصالحة والحسنة لمن جاء بعده، حيث اهتم بالعلم والتعليم وتلقاه على أيدي علماء عصره، كما اهتم ببناء المساجد والمدارس، وسخر الأموال في خدمة العلم والتعليم، ورتب في كل مدرسة مدرسًا ومعيدًا وطلبة ومؤذنًا ومعلمًا، وأوقف على كل المدارس أوقافًا تكفي الجميع منها[4].

أما العلوم التي كانت تدرس في المؤسسات التعليمية فتأتي العلوم الشرعية في مقدمة هذه العلوم، وقد اهتمت بالفقه، وأصوله والتفسير وعلم القراءات والفرائض والحديث، إضافة إلى علوم اللغة كالنحو والصرف والأدب، وكذلك علم الحساب والجبر، وعلم التاريخ والأنساب، إضافة إلى علم الفلك والهندسة والطب وغيرها من العلوم التطبيقية [5].

هكذا كان للدولة الرسولية دور فعال في تفجير الطاقة العلمية باليمن، ببناء المدارس من قبل الملوك ونسائهم، وبناء حياة علمية وفكرية، واستقبال العلماء ومشاركتهم وتشجيعهم على إنتاجهم الفكري، ومساهمتهم في الناحية العلمية، كالملك المظفر والملك الأشرف الأول والعباس والمجاهد. في علم الطب والفلك والأنساب، واهتم الأشرف الثاني بحصر المدارس والمساجد بزبيد، فبلغت مائتين وستة وثلاثين مسجدًا ومدرسة، فأعاد ما اندثر وأصلح ما

(1) السخاوي، الضوء اللامع، مرجع سابق، 5/ 312، والبريهي، طبقات صلحاء اليمن، مرجع سابق، ص310

(2) أحمد، الحياة العلمية في تعز، مرجع سابق، ص141.

(3) ابن الديبع، قرة العيون، مرجع سابق، ص312 وما بعده.

(4) محمد، الحياة العلمية في اليمن، مرجع سابق، ص28.

(5) الحميدي، الملك الأفضل الرسولي، مرجع سابق، ص58.

تهدم [1].

المبحث الثاني: مدارس الإقراء في اليمن في عصر الدولة الرسولية [2]:

تميز أهل اليمن في هذا العصر بإنشاء المدارس والدُّور المتخصصة في تعليم القراءات القرآنية، وشارك في بناءها الملوك وجماعة من الأمراء والعلماء والتجار، وجعلوا عليها أوقافًا لها، وكان الأساتذة بها يتقاضون مرتبات شهرية تقتطع من أوقاف المدارس، وتختلف هذه المرتبات باختلاف المدرسين ومكانتهم العلمية [3]، وكانوا يختارون للتدريس والإقراء بهذه المدارس أوسع العلماء معرفة وثقافة، وأكثرهم فضلًا وورعًا [4]، ومن هذه المدارس والدور القرآنية:

مسجد الأشاعر:

وهو من المساجد الهامة والبارزة في مدينة "زبيد"، تعقد به الندوات والمجالس العلمية في القراءات والحديث.

يقول الإمام عثمان النَّاشري "ت: 848 هـ" عن قراءة متن "الدُّرَّة" بهذا المسجد على الإمام ابن الجزري: وقد قرأتها عليه في مجالس بعد عصر يوم السبت الثالث من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وثمانمئة بمسجد الأشاعر داخل مدينة "زبيد"، وسمعها بقراءتي جماعة كثيرون [5]. ونادرًا ما يأتي عالم إلى اليمن ولا يقصد هذا المسجد [6].

مسجد المملاح:

وهو من مدارس مدينة زبيد، أمر بإنشائه الملك الأشرف الثاني بن الملك الأفضل وذلك في سنة 790هـ، رتَّب فيه ستة مدرسين وأمرهم بتدريس العلم وكان كل مدرس يختص بعلم معين، ومقرئ للقرآن بالقراءات السبع ومدرس للقرآن بالقراءات السبع [7].

---

[1] الحضرمي، زبيد مدارسها ومساجدها العلمية، مرجع سابق، ص40.

[2] ستذكر الباحثة هنا المدارس التي وجدت في مصادرها ومراجعها أن فيها تدريس القراءات، ولذلك المدن التي وردت في البحث هي من ذكرته المراجع التي بين أيدينا، ولم نجد فيها ذكرًا لمدن أخرى في اليمن كانت فيها مدارس للقراءات، لذلك اكتفينا بذكر هذه فقط.

[3] عبد الله بن محمد الحبشي، حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، ضمن منشورات وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية، ط2، 1980م، ص: 82-83.

[4] إسماعيل بن علي الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م، ص11.

[5] الزبيدي، تحقيق: عبد الرزاق علي إبراهيم موسى، شرح الإمام الزبيدي على الدُّرّة، المكتبة العصرية، بيروت، 1409هـ، ص109.

[6] انظر: الحبشي، حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، مرجع سابق، ص: 75.

[7] انظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤلية، مرجع سابق، ج2، ص202.

مدرسة ابن الجلاد:

وهي من مدارس زبيد، أنشأها القاضي جمال الدين محمد بن إبراهيم الجلاد الأشرفي الأفضلي المجاهدي، وكان فقيهاً عارفاً بالعلم، وممن درَّسوا في هذه المدرسة من علماء القراءات الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد المتيني [1].

المدرسة التاجية الثالثة للقراءات السبع:

هي من قديمات المدارس بزبيد أسسها الطواشي تاج الدين بدر بن عبد الله المظفري وكان من مماليك الأميرة بنت حوزة زوجة الملك المنصور عمر بن علي وتوفي سنة 645هـ [2]، وتقع بسوق المبردعين، وتعرف بمدرسة القراء، وقد أوقف عليها المظفري وقفًا عظيمًا وجعل مدرستين إحداهما للقراءة والأخرى للحديث.

درَّس بها أبو موسى عمر بن النعمان بن زيد الحرازي، وكان فقيهاً غلب عليه علم القراءات، ودرَّس بها أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي بن محمد بن مسعود المقري الجعفري نسباً، الأصابي بلدًا، تفقه بزبيد فأخذ القراءات السبع عن المقري يوسف المهلهل وأحمد بن يوسف الريمي، ودرَّس بها غيرهما من علماء القراءات [3].

مدرسة شَنِيْن:

أنشأها عمر بن منصور بن حسن بن زياد الحبشي، وهي من مدارس إب، درَّس فيها عدد من علماء الفقه والقراءات، منهم الفقيه عبد الله بن محمد بن علي الصراري الذي انتهت إليه الرئاسة في علم القراءات في عصره [4].

المدرسة الأسدية:

ابتناها الأمير أسد الدِّين محمد بن الأمير بدر الدِّين بن الحسن بن رسول سنة 677 هـ، وهي ما تزال عامرة إلى اليوم بمدينة "إب"[5]، وقد أوقف عليها أوقافاً تقوم بكفاية الجميع، وممن تولَّى تدريس علم القراءات بها المقرئ عثمان بن عمر النَّاشري ت: 848هـ [6].

---

[1] انظر: المرجع نفسه، ج2، 175.

[2] الحبشي، حياة الأدب اليمني، مرجع سابق، ص72.

[3] الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها، مرجع سابق، ص 154.

[4] الجندي، السلوك، مرجع سابق، ج2، ص189، 190.

[5] لعل المؤلف قصد بقوله إلى اليوم عصره.

[6] عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي، طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء – اليمن، ط2، 1414هـ -1994م، ص116، والأكوع، المدارس الإسلامية، مرجع سابق، ص96-98.

المدرسة الظاهرية:

ابتناها السلطان الملك الظاهر يحي بن الملك الأشرف إسماعيل في مدينة "تعز"، وأوقف عليها أوقافاً جليلة، وأوقف أوقافًا على مقرئ لكتاب الله العزيز بالقراءات السبع، عارف محقِّق بأنواع علوم القراءات، متقن لها علمًا ونطقًا، وممن تولَّى التدريس والإقراء بها المقرئ عثمان بن عمر النَّاشري ت: 848هـ [1].

المدرسة السيفية:

هي أول مدرسة أُنشئت في "تعز" كانت في الأصل دارًا لسيف الدِّين الأتابك ثم اشتراها منه المعز إسماعيل بن طُغْتُكين الأيوبي، ونسبها إلى والده سيف الإسلام طُغْتُكين بن أيوب المتوفى سنة 593 هـ، وخصَّص لها أوقافًا كثيرة، ورتَّب عليها من القراء بالسبع القراءات، وظلَّت هذه المدرسة قائمة حتى القرن التاسع، أي حتى عصر الدولة الرسولية، حيث قموا بإعادة ترميمها [2].

المدرسة المؤيدية:

من المدارس الكبيرة في "تعز "بناها الملك المؤيد داود بن يوسف بن رسول سنة 672 هـ، وأوقف عليها أوقافاً طائلة، وجعل فيها مدرِّساً وإماماً ومؤذناً ومعلماً للأيتام ومقرئاً يقرئ بالقراءات السبع، وممن تولى تدريس القراءات والإقراء بها المقرئ عبد الله بن محمَّد بن علي النَّاشري "ت: 848 هـ [3]، وهو من تلامذة الإمام ابن الجزري، ودرَّس بها أبو عبد الله النزاري كان محققًا في علم القراءات وغيره من العلوم، وكان يقرئ في المؤيدية وغيرها من المدارس بالقراءات السبع [4].

المدرسة الأشرفية:

وتسمى بالمدرسة الأشرفية الكبرى وهي من مآثر الملك الأشرف الثاني إسماعيل بن الملك الأفضل، وكانت في تعز، وتتكون من بابين شرقي وغربي وباب كبير جنوبي ومقدم واسع، وممن درَّس فيها الفقيه محمد بن يوسف النزاري، كان عارفاً بالفقه والقراءات السبع وغيره من العلوم [5].

(1) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، مرجع سابق، ص: 116، والأكوع، المدارس الإسلامية، مرجع سابق، ص219-227.

(2) الأكوع، المدارس الإسلامية، مرجع سابق، ص20-21، والحبشي، حياة الأدب اليمني، مرجع سابق، ص75.

(3) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1412هـ -1992م، 5/ 58، والأكوع، المدارس الإسلامية، ص154-161، والحبشي، حياة الأدب اليمني، ص79.

(4) الأكوع، المدارس الإسلامية، مرجع سابق، ص44.

(5) المرجع نفسه، ص148، و198.

المدرسة السابقية:

وتسمى بمدرسة مريم، وتسمى بالعفيفية، وتعرف بالعافية، وتقع في زبيد، أسستها السيدة مريم بنت الشيخ شمس العفيف زوجة الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي[1]، رتبت فيها إمامًا ومؤذنًا ومعلمًا وأيتاماً يتعلمون القرآن، وأوقفت لها وقفاً جيداً درَّس بها علماء كثر في الفقه والقراءات منهم: العلامة أبو الحسن علي بن عبد الله الشاوري المعروف في الفقه وأصوله والحديث والقراءات السبع، تعلم في عدن ثم في زبيد فقرأ القراءات السبع على المقرئ محمد بن عثمان بن شَنِية، وعلى المقرئ علي بن شداد وأكمل عليه القرآن قراءةً، ورواية، ودرَّس بها محمد بن إسماعيل الملقب بالطيب كان محققًا في القراءات وعلوم أخرى[2].

المدرسة الفاتنية:

أسستها فاتن ماء السماء بنت الملك المؤيد الرسولي، وأوقفت عليها أوقافًا كبيرة، ورتبت فيها إمامًا ومؤذنًا ومعلمون يعلمون القرآن [3]، وهي من مدارس زبيد، درَّس بها الفقيه عمر بن علي الزيادي، تم ترميمها سنة 792هـ [4].

المدرسة الفرحانية:

وهي من مدارس زبيد، عمرتها الطواشي جمال الدين فرحان أم الملك الظاهري يحيى بن إسماعيل الرسولي أخي الملك الناصر أحمد بن إسماعيل، وهي لا تزال تعرف بهذا الاسم [5] وتمثل عظمة ذلك الفن المعماري، وممن درَّس بها الفقيه العلامة جمال الدين عمر الفارقي المشهور بالنهاري قرأ القراءات السبع على المقرئ الناشري [6].

المدرسة الغُرَابيَّة:

أنشأها السلطان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، وسميت بالغرابية نسبةً إلى عبد الله غُراب، مؤذن المدرسة، وهي من مدارس تعز ويطلق عليها اسم المدرسة المنصورية، وهذه التسمية متأخرة وتناوب في التدريس عليها جماعة من كبار العلماء والفقهاء، منهم النزاري صاحب المؤيدية، حيث كان يقرئ بالقراءات السبع [7].

(1) الحبشي، حياة الأدب اليمني، مرجع سابق، ص74.

(2) انظر: الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية، مرجع سابق، ص 166-168 بتصرف يسير.

(3) المرجع السابق حضرمي، ص 159.

(4) الحبشي، حياة الأدب اليمني، مرجع سابق، ص74.

(5) لعل المؤلف قصد أنها لا تزال في زبيد بهذا الاسم.

(6) الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية، مرجع سابق، ص174.

(7) انظر: الأكوع، المدارس الإسلامية، مرجع سابق، ص42، 44، والحبشي، حياة الأدب اليمني، مرجع سابق، ص77.

المدرسة المنصورية:

كانت في عدن، أسسها الملك المنصور عمر بن علي الرسولي، ووقف لها أوقافًا كثيرة، درَّس بها أحمد بن علي الحرازي، كان عالـــمًا بالفقه والنحو والقراءات وغيرها من العلوم، أخذ القراءات عن أبي محمد النِكزاوي، في عدن وقرأ عليه بالحروف السبعة [1].

المدرسة الفتحية:

وهي من مدارس مدينة جبلة، لم يعرف من الذي أنشـــأها ولا تاريخ إنشـــائها، ومن الذين درّســـوا فيها من علماء القراءات أبو بكر بن محمد بن عمران وغيره [2].

مدرسة القراءات:

وهي من مدارس مدينة الجند، ومن الذين درَّسوا فيها، الفقيه عمر بن النعمان بن زيد الحرازي [3]، كان فقيهاً مقرئاً اشتهر بمعرفته علم القراءات [4].

هذه المدارس التي أُنشـئت في عصـر الدولة الرسـولية؛ لتدريس علم القراءات وغيرها من العلوم، ونشـره بين الناس، تميزت بها اليمن عن بعض الحواضر الإسلامية في هذا العصر، وقد اقتصرت على ذكر المدارس التي كان لها دور في تدريس القرآن الكريم بالقراءات، وإلا فالمدارس الإسـلامية التي قامت في اليمن في العصـر الرسـولي كثيرة، لكن منها كانت متخصـصـــة في تدريس علوم أخرى كالحديث والفقه والنحو وغيره، وهذه المدارس والدور أنجبت عدداً من المقرئين المبرزين لا يمكن الإحاطة بذكرهم ولا بذكر بعضـهم؛ لأن المؤرخين لم يذكروا في تراجم من ترجموا له من المقرئين أنهم درَّسوا أو قرأوا في تلك المدارس، فهؤلاء المتخرجون ساهموا في نشر وتعليم علم القراءات بالبلاد اليمنية.

---

[1] انظر: الأكوع، المدارس الإسلامية، مرجع سابق، ص 318-319.

[2] انظر: الأكوع، المدارس الإسلامية، مرجع سابق، ص57، 60.

[3] سبق ذكره في المدرسة التاجية في زبيد، ص13.

[4] فضل محمد صالح محمد، الحياة العلمية في اليمن في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي في عصر الدولة الرسولية، رسالة ماجستير، 1427هـ – 2006م، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن-اليمن، ص 69.

الخاتمة

توصلت الدراسة في نهايتها إلى عدد من النتائج والتوصيات أهمها:

أولًا: النتائج:

1/ تعد الدولة الرسولية من أكبر الدول السنية التي استطاعت بسط نفوذها على أغلب أجزاء اليمن، وكان لها دور في الحياة العلمية في اليمن.

2/ أولى الرسوليون دور العلم جل عنايتهم، فشيدوا المدارس والأربطة وغيرها، وألحقوا بها خزائن الكتب وقد تعدت هذه العناية المدن الكبرى إلى القرى.

3/ شهد العهد الرسولي إنشاء مدارس متخصصة في تدريس علوم بعينها كالقراءات والحديث والفقه. إضافة إلى المدارس المشتركة، ولم يقتصر إنشاء المدارس على سلاطين الدولة، بل أسهم فيه الأمراء والفقهاء، وبعض الوزراء ونساء البيت الرسولي.

4/ كان الوقف يعد المصدر التمويلي الرئيسي للمؤسسات العلمية والمدارس في العصر الرسولي؛ فمن ريعه يتم الإنفاق عليها، ومنه يتم إجراء الترميمات والإصلاحات اللازمة لمبانيها، مما مكنها من مواصلة دورها العلمي.

5/ دور المدارس في علم القراءات وإخراج قدر كبير من المقرئين في ذلك العصر.

6/ الإقراء بالديار اليمنية قديم، وقد كانت لهم مناهج ومدارس وطرق ساروا عليها، جهلها كثير من الناس فأصبح يحصر الإقراء ببعض الحواضر الإسلامية دون البلاد اليمنية.

ثانيًا: التوصيات:

1/ توسيع دائرة البحوث والندوات والمؤتمرات عن مدارس الإقراء في اليمن.

2/ طباعة الكتب اليمنية في علم القراءات لتعريف الخلف بما تركه لهم السلف، وليسهم في تحفيزهم فيحذو حذوهم.

3/ إثراء المكاتب العربية بجهود اليمنيين في تشييد المدارس الإسلامية، ومدارس الإقراء، من خلال طباعة الكتب والأبحاث التي تناولت ذلك.

4/ تناول الموضوع بتوسع في الرسائل العلمية الجامعية، والأبحاث.

المصادر والمراجع

1/ إسماعيل بن علي الأكوع، الدولة الرسولية في اليمن، ط1، جامعة عدن، عدن-اليمن، 2003م.

2/ إسماعيل بن علي الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م.

3/ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء-اليمن، ط2، 1985م.

4/ الزبيدي، تحقيق: عبد الرزاق علي إبراهيم موسى، شرح الإمام الزبيدي على الدُّرّة، المكتبة العصرية، بيروت، 1409هـ.

5/ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1412هـ -1992م.

6/ عبد الله بن محمد الحبشي، حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، ضمن منشورات وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية، ط2، 1980م.

7/ عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء-اليمن، دار المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق-سوريا.

8/ عبد الرحمن بن علي الشيباني ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار بساط، بيروت-لبنان، ط2، 1409هـ -1988م.

9/ علي بن الحسن بن أبي بكر الحسن الأنصاري الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح ومراجعة: محمد بن علي الأكوع، ط2، 1403هـ-1983م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

10/ عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي، طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء – اليمن، ط2، 1414هـ -1994م.

11/ محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط1، صنعاء-اليمن، مكتبة الإرشاد، 1414هـ -1993م، 2/ 29، 31، وأحمد، الحياة العلمية في تعز.

الرسائل الجامعية:

12/ حمد علي عسيري، أبو الحسن الخزجي وآثاره التاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، 1406هـ -1986م، جامعة الإمام محمد بن سعود.

13/ علي بن علي أحمد، الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول، رسالة ماجستير، 1414هـ - 1994م، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية.

14/ فضل محمد صالح محمد، الحياة العلمية في اليمن في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي في عصر الدولة الرسولية، رسالة ماجستير، 1427هـ – 2006م، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن–اليمن.

15/ يوسف بن عبد العزيز بن محمد الحميدي، الملك الأفضل الرسولي جهوده السياسية والعلمية، رسالة ماجستير، 1429هـ–2008م، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية.